

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله يقدم

من سلسلة "خط الزمن"

الحلقة (٢٨) "بيبرس أبو الفتوحات"



لفضيلة الدكتور: راجب السرجاني

رابط المادة: <http://way2allah.com/khotab-item-23238.htm>

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
أما بعد:

فأهلاً ومرحباً بكم في هذا اللقاء المبارك، وأسأل الله -عز وجل- أن يجعل هذه اللحظات في ميزان حسناتنا أجمعين.

مع الحلقة الثامنة والعشرين من حلقات "خط الزمن"

ومازلنا مع قصة فلسطين، في الحلقة اللي فاتت شفنا الوضع العظيم الذي وصل إليه المسلمون بالانتصار المهيب على الجيوش التتارية في موقعة عين جالوت، وما أتبعها من تحركات في مناطق الشام، وخاصةً في منطقة دمشق وحلب وما حولهما، شفنا قطز -رحمه الله- كيف حقق هذا الانتصار بتحفيز الناس على الجهاد في سبيل الله، وبنشر علماء في كل مكان وتوحيد الأمة توحيداً واضحاً بجيش له هدف واضح ووجهة واضحة هي حرب التتار في سبيل الله -عز وجل-.

شفنا أثر الكلمة العظيمة التي قالها: "من للإسلام إن لم نكن نحن؟! شفنا الكلمة "وإسلاماه"، شفنا التوجه الواضح في كل حياته من أول ما استلم الحكم إلى آخر لحظات حياته، وكل حياته يا إخواني في الحكم كانت ١١ شهر وعدة أيام، مكملش سنة ومع ذلك آثاره كانت مجيدة وطويلة على الإسلام وعلى العالم أجمع بإفناء وهزيمة قوة التتار في موقعة عين جالوت ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ من الهجرة.

بعد موقعة عين جالوت بأقل من شهرين قُتل قطز -رحمه الله-. وزى ما قلنا في الحلقة اللي فاتت إن علامات استفهام كبيرة تدور حول مقتله وأنا أستثني أو أستبعد أن يكون الظاهر بيبرس -رحمه الله- هو الذي قتل قطز لأسباب كثيرة ليس المجال لتفصيلها.

تولي الظاهر بيبرس الحكم بعد وفاة قطز -رحمه الله-

لكن تولى الحكم بعد وفاة قطز أو بعد قتل قطز -رحمه الله- الظاهر بيبرس، طبعًا بيبرس شخصية من أعظم الشخصيات أيضًا في تاريخ الإسلام، حكمت المسلمين من سنة ٦٥٨ أو آخر ٦٥٨ من الهجرة، إلى سنة ٦٧٦ من الهجرة، وده بيوافق من ١٢٦٠ ميلادية، ل ١٢٧٧ ميلادية، يعني حوالي ١٧ سنة متصلة وعدة شهور.

لماذا يُطلق على الظاهر بيبرس أبو الفتوحات؟

ويطلق على الظاهر بيبرس أبو الفتوحات، ليه اسمه أبو الفتوحات؟ لأن هو من أول أيامه وإلى آخر أيامه وهو منشغل بالفتوحات الإسلامية -رحمه الله-. من أول ما استلم الحكم ولقى قدامه ثلاث مشاكل كبيرة.

ما المشكلات التي قابلها الظاهر بيبرس عند استلامه الحكم؟

المشكلة الأولى: بقايا دولة الأيوبيين

المشكلة الأولى وهي جيوب الأيوبيين التي مازالت موجودة في بلاد الشام في فلسطين، في دمشق، في حلب، في الأردن، في غيرها من بقاع الشام المختلفة، والتي كانت تريد أن تستكمل الدولة الأيوبية، والملك في الدولة الأيوبية، وطبعًا هذا يُفترق الأمة الإسلامية؛ لأن القوة الرئيسية الآن أصبحت في يد المماليك اللي بيحكموا مصر في ذلك الوقت

- دور بيبرس في حلها

فكان أول دور ومن أهم الأدوار التي أوكلت إليه هو توحيد العالم الإسلامي تحت راية واحدة هي راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، والتي يحملها في ذلك الوقت أقوى المسلمين المماليك.

المشكلة الثانية: وجود التتار

الدور الثاني أو المشكلة الثانية الخطيرة اللي قابلت الظاهر بيبرس هو وجود التتار، والتتار طبعًا زي ما قلنا الجيش التتري فَيَّ في موقعة عين جالوت، لكن الجيش اللي بنقصده هو الجيش الذي كان معسكرًا في منطقة الشام، لكن الجيش التتري الموجود في منطقة فارس، ومنطقة العراق، ومنطقة آسيا الصغرى، ومنطقة شرق العالم الإسلامي مازال موجودًا، وهولاكو مازال موجودًا،

ولا شك أن فيه غضب كبير جدًا عند الدولة التتارية لهلكة جيشها الشامي بهذه الصورة المفاجئة على يد المماليك، وبالتالي وجهت التتار عدة جيوش لحرب المماليك.

- دور بيبرس في حلها

وتصدى الظاهر بيبرس -رحمه الله- لهذه الجيوش في أكثر من موقعة وحقق انتصارات مهولة، برضه ليس المجال لتفصيلها؛ لأنها كلها لم تكن في أرض فلسطين.

المشكلة الثالثة: وجود ثلاث ممالك كبرى للصليبيين

المشكلة الثالثة اللي قابلت الظاهر بيبرس هو وجود الصليبيين في داخل فلسطين، وداخل لبنان، وداخل أجزاء من سوريا حتى وصلوا إلى أجزاء من تركيا، في الوقت الذي حكم فيه الظاهر بيبرس العالم الإسلامي كانت هناك ثلاث ممالك كبرى للصليبيين: -

- كان في مملكة عكا

ومملكة عكا كانت في وقت الظاهر بيبرس كانت بتحكم من يافا إلى شمال بيروت.

- كان في مملكة طرابلس

وهذه في شمال لبنان، وجنوب الساحل السوري على البحر الأبيض المتوسط.

- وكان في مملكة أنطاكية

في شمال سوريا وفي جنوب تركيا.

هي دية التلات ممالك الكبرى اللي تبقت للصليبيين وكلها موجودة على الساحل الغربي لفلسطين، ولسوريا ولبنان. التتار طبعًا كانوا موجودين في الشمال في مناطق تركيا ومناطق العراق، والقوى الرئيسية للجيش الإسلامي المصري كانت مُعسكرة في القاهرة ومنها تنساح إلى بقية البقاع.

ماذا فعل الظاهر بيبرس في أول حكمه؟

الظاهر بيبرس خد أول أربع سنوات في حكمه لحد سنة ٦٦٣ من الهجرة، أول أربع سنوات بيرتب الأمور ويجمع المسلمين في راية واحدة، واستطاع في هذه السنوات الأربع أن يوحد الشام مع مصر في دولة واحدة قوية، وأن يلتقي مع التتار في عدة مواقع انتصر فيها كما ذكرنا جميعًا.

جهود الظاهر بيبرس في مواجهة الصليبيين

في سنة ٦٦٣ - يعني بعد أربع سنوات من حكمه - بدأ يوجه النظر إلى الصليبيين، وهتبدأ صفحة جميلة جدًا من صفحات الجهاد الإسلامي، وهيفتح قيسارية سنة ٦٦٣ من الهجرة، ده بيوافق ١٢٦٥ من الميلاد، وبعدها يفتح أرسوف، ثم في سنة ٦٦٤ ينتصر انتصار كبير جدًا في صفد على الصليبيين ويفتح صفد، ويفتح أجزاء من ساحل طرابلس.

يعني كان يبوجه قوته لأكثر من مملكة من ممالك الصليبيين، مش بس بيحارب مملكة بيت المقدس القريية، أو مملكة طبعًا معدش اسمها بيت المقدس كانت مملكة عكا؛ لأن بيت المقدس خلاص حرر على يد نجم الدين أيوب - رحمه الله - زي ما قلنا قبل كده ومدخلوش الصليبيين بعد كده إلا في الاحتلال الإنجليزي مؤخرًا في القرن العشرين، لكن

طول هذه الفترة كان الصليبيون فقط في الساحل الفلسطيني والساحل اللبناني، والسوري، فوجه قوته إلى مملكة عكا، ولمملكة طرابلس، ولمملكة أنطاكية في أوقاتٍ متزامنة، في سنة ٦٦٤ زي ما قلنا استطاع أن يحرر صغد، وأن يحرر بعض المدن في ساحل طرابلس زي مدينة عرقا ومدينة العليقات. في سنة ٦٦٦ عمل انتصار كبير جداً وحرر يافا من أيدي الصليبيين.

الانتصار على مملكة أنطاكية انتصاراً عظيماً

وفي سنة ٦٦٧، ١٢٦٨ من الميلاد حقق أكبر انتصاراته مطلقاً، والانتصار الأعظم من ساعة حطين لحد هذه اللحظة وهو الانتصار على مملكة أنطاكية -أو إمارة أنطاكية-. إمارة أنطاكية إمارة زُرعت في العالم الإسلامي منذ سنة ٤٩٠ من الهجرة، واحنا دلوقتي في سنة ٦٦٧ من الهجرة يعني بنتكلم على ١٧٦ سنة احتلال، ١٧٦ سنة ومع ذلك لم يفقد المسلمون الأمل في تحرير أنطاكية من الصليبيين.

كانت قضية أنطاكية في ذهن بيبس دائماً ومن معه من المجاهدين

أنطاكية يعيش فيها الصليبيون من عدة عشرات من السنوات زي ما قلنا، يعني عدة أجيال ماتت وولدت غيرها، وعاشت ثم ماتت، ثم ولدت غيرها وهكذا، ٦ أو ٧ أجيال متتالية في أنطاكية، ومع ذلك مازالت القضية حاضرة في ذهن الظاهر بيبس -رحمه الله- ومن معه من المجاهدين، وحاصر أنطاكية حصاراً كبيراً. واستطاع في ٤ رمضان سنة ٦٦٧ من الهجرة أن يدخل أنطاكية فاتحاً ويحررها بعد هذه المدة الطويلة وأن يغنم غنائم هائلة.

وأنا عايز أقولكم أن عدد الأسرى في أنطاكية في التقديرات الصليبية أد ايه؟ ١٠٠,٠٠٠ أسير من موقعة أنطاكية، طبعا شيء مهول وانتصار رائع ويعد هذا أكبر إنجازات الظاهر بيبس -رحمه الله-.

توحيد النصارى لمملكتي عكا وطرابلس

بعد طبعا السقوط المروع لأنطاكية النصارى جمعوا أنفسهم واستطاع هيو الثالث وهو كان ملك قبرص في ذلك الوقت أن يوحد مملكتي عكا وطرابلس في مملكة واحدة ليستطيعوا مواجهة الظاهر بيبس.

عقد بيبس معاهدة معهم ليأمن شرهم في هذه الفترة

والظاهر بيبس واجه في هذه الفترة عدة مشاكل من التتار فاضطر أن يعقد معاهدة مع مملكتي طرابلس وعكا، ليأمن شرهم في هذه الفترة، وطبعاً ده لاقى ترحيب منهم؛ لأنهم كانوا يخشوا خشية كبيرة جداً من قوة الظاهر بيبس -رحمه الله-.

وفاة الظاهر بيبس

وتفرغ لحرب التتار بقية حياته حتى تُوفي -رحمه الله- في سنة ٦٧٦ من الهجرة، بيوافق ١٢٧٧ من الميلاد. بعد ما مات بسنتين مدة سنتين حصلت بعض مشاكل على الحكم بعده كالمعتاد دائمًا في مثل هذه الظروف.

تولي سيف الدين قلاوون الحكم

ثم تولى في سنة ٦٧٨ من الهجرة بيوافق سنة ١٢٧٩ من الميلاد، تولى بعده شخصية مؤثرة جدًا في التاريخ الإسلامي وهو سيف الدين قلاوون -رحمه الله-. وهذه الشخصية حكمت المسلمون ١١ سنة، طبعًا مقرها الرئيسي كان في القاهرة -العاصمة-، وكان يسيطر برضه على نفس المناطق التي كان يسيطر عليها الظاهر بيبرس.

جهود سيف الدين قلاوون في مواجهة الصليبيين

ووضع أيضًا في ذهنه التخلص من الجيوب الصليبية المتبقية واستطاع أن يفتح حصن المرقب، وكان من أعنى وأحصن حصون الصليبيين، وبعدها فتح مدينة اللاذقية، وختم حياته بأجل أعماله مطلقًا حيث أسقط مدينة طرابلس، ومدينة طرابلس هذه هي مقر إمارة طرابلس.

وخلوا بالكم مدينة طرابلس هذه سقطت في يد الصليبيين في سنة ٥٠٣ من الهجرة، وهو فتحها سنة كام؟ سنة ٦٨٨ من الهجرة، يعني بنتكلم على ١٨٥ سنة احتلال، مع أنها مر عليها طول هذه الفترة تحت الاحتلال الصليبي إلا أن سيف الدين قلاوون -رحمه الله- استطاع أن يجر هذه المدينة وأن يردّها إلى المسلمين مرة ثانية.

وهكذا لم يبقى في أيدي الصليبيين في كل البلاد الإسلامية إلا مملكة عكا فقط وبعض المدن التابعة لها زي صيدا، وزى بيروت، وزى صور، وزى عفليس، وطرسوس وغيرها من المدن في هذه المساحة القصيرة جدًا من الأرض، من شمال فلسطين إلى وسط لبنان.

وفاة السلطان قلاوون وتولي ابنه الحكم

توفي السلطان قلاوون سنة ٦٨٩ من الهجرة بيوافق ١٢٩٠ من الميلاد، وتولى الأمور من بعده ابنه العظيم جدًا الأشرف خليل صلاح الدين بن قلاوون، والأشرف خليل هذا يعد من أشهر حكام المماليك مطلقًا ليس لأنه الأكثر إنجازًا من الأعمال في تاريخ المماليك، ولكنه هو الذي أنهى تمامًا الجيوب الصليبية في بلاد العالم الإسلامي، طبعًا قوة الصليبيين قد ضعفت جدًا جدًا بعد الظاهر بيبرس وبعد سيف الدين قلاوون.

جهود الأشرف خليل صلاح الدين في إنهاء الجيوب الصليبية

تسلم الحكم الأشرف خليل -رحمه الله- واستطاع أن يسقط عكا بعد حصار شهر ونص، والكلام ده كان سنة ٦٩٠ من الهجرة بعد ١٩٣ سنة من الاحتلال، شوف الأرقام ضخمة جدًا! يعني احنا ميهمناش ٩٠ سنة و ٥٠ سنة و ٦٠ سنة

سنة، دية أرقام بسيطة، بتكلم على ١٩٣ سنة سقطت عكا، ومن بعد عكا بدأت المدن الأخرى تتساقط تدريجًا، تسلم صور، ثم تسلم بيروت، ثم تسلم حيفا، وعفليس وطرسوس.
وبذلك أغلقت صفحة من أسود الصفحات في تاريخ البشرية وهي صفحة الحروب الصليبية على العالم الإسلامي، وطهر العالم الإسلامي تمامًا من الصليبيين.

أؤكد هنا حاجة وقفة وتحلل الموقف بعد خروج الصليبيين من العالم الإسلامي لكن ده هيكون بعد الفاصل، فابقوا معنا. بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، شفنا قبل الفاصل اللحظات السعيدة التي مرت بها الأمة الإسلامية في عهد الظاهر بيبرس، وفي عهد سيف الدين قلاوون، وفي عهد الأشرف خليل -رحمه الله-، الثلاثة دولت استطاعوا أن يخلصوا المسلمين من بقية الجيوب الصليبية الموجودة في فلسطين والموجوده في لبنان وفي سوريا، وفي أجزاء من تركيا وبذلك انتهى الوجود الصليبي تمامًا من بلاد العالم الإسلامي بعد أكثر من ٢٠٠ سنة احتلال. من أوائل دخول الحملة الصليبية الأولى من أول ما دخلوا على أرض العالم الإسلامي إلى آخر جندي صليبي خرج من العالم الإسلامي مر أكثر من ٢٠٠ سنة يا إخواني ويا أخواتي ومع ذلك بفضل الله كانت العاقبة للمتقين.

وقفات نستفيد منها في حرب المسلمين مع الصليبيين:-

١. إذا أطاع المسلمون ربهم وأخذوا الجهاد في سبيل الله طريقًا فإنهم ينتصرون

لازم نقف وقفة وتحلل ونشوف الوضع شكله إيه بعد خروج الصليبيين لازم نقف ونقول إن في كل هذه المراحل الطويلة لم يهزم المسلمون أبدًا من الصليبيين إلا لبعدهم عن ربهم -سبحانه وتعالى-. وإذا تمسك المسلمون بدين الله -عز وجل- وأخذوا الجهاد في سبيل الله طريقًا فإنهم ينتصرون. حدث ذلك في زمان نور الدين محمود، وقبله في زمان عماد الدين زنكي، ثم في زمان صلاح الدين الأيوبي، ثم بعد ذلك في زمان قطز، وزمان الظاهر بيبرس، وسيف الدين قلاوون وكل هؤلاء العظماء من المجاهدين.

٢. لم ينتصر المسلمون إلا وهم متوحدون

لم ينتصر المسلمون في كل معاركهم التي انتصروا فيها إلا وهم متوحدون، محصلش أبدًا إن المسلمين كانوا في فرقة وحققوا انتصار، وذلك بفضل ربهم -سبحانه وتعالى-، وقد ذكر ذلك في أكثر من موضع: **"وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"** الأنفال ٤٦.

٣. نبذ العنصرية من أسباب الانتصار

مكنش فيه أبدًا أي نوع من الاهتمام بالعرق في نصرة المسلمين ضد الصليبيين، في أي موقعة من المواقع، بالعكس شفنا الأيوبيين وشفنا الأتراك، شفنا المماليك، شفنا العرب وشفنا غيرهم وغيرهم الكل بيتكاتف وبيتعاون في حرب الصليبيين من منطلق إسلامي بحت.

٤. سيظل في هذه الأمة دائمًا من يحمل الراية

مشفناش أي سقوط في هذه القصة إلا وأتبع هذا السقوط بقيام؛ وهذه الأمة بفضل الله -عز وجل- سيظل دائمًا هناك من يحمل الراية فيها، ولن تموت أبدًا أو تقع راية الإسلام.

٥. عدم اليأس مع طول مدة الاحتلال

٢٠٠ سنة احتلال ما عملوش يأس، لا عند الظاهر بيبرس، ولا عند سيف الدين قلاوون، ولا عند الأشرف خليل مقلوش احنا بقالنا ١٦٠، ١٧٠، ١٨٠ سنة محتلين في هذه البلاد، لا، استكملوا الجهاد وربنا -سبحانه وتعالى- فتح لهم أبواب الخير، وحرروا بلاد العالم الإسلامي.

٦. مهما كانت قوة العدو نستطيع أن نخرمه بفضل الله

العدو يا إخواني في كل هذه القصة مكنش سهل أبدًا، العدو ده كان أوروبا بكاملها، كانت تتحد أوروبا الغربية مع أوروبا الشرقية، الدولة البيزنطية مع الكاثوليك، في أوروبا الغربية، في جيوش هائلة جاية من ألمانيا من النمسا، من إنجلترا، من فرنسا، شفنا أعداء في منتهى القوة من ناحية العدد والعدة، ومع ذلك حقق الله -عز وجل- النصر للمسلمين عندما تمسكوا بكتاب رب العالمين -سبحانه وتعالى-.

٧. فترة الحروب الصليبية من أشد الفترات شبهًا بواقعا المعاصر

الحقيقة يا إخواني ويا أخواتي فترة الحروب الصليبية من أشد الفترات شبهًا بواقعا المعاصر، مش هينفع أبدًا اللي احنا عملناه في هذه الحلقات من الوقوف على بعض المناطق في ثلاث، أربع حلقات أو خمس حلقات نتكلم على الحروب الصليبية، محتاجين نفرّد برامج عدة لدراسة هذه الحقبة؛ لأنها تشبه إلى حد كبير الاحتلال اليهودي لأرض فلسطين ولن نُحرر فلسطين تحريرًا كاملًا كما رأينا إلا بدراسة السنن ودراسة التاريخ.

وقفات مع دولة المماليك:-

طبعا برضه محتاجين نقف وقفة مع دولة المماليك العظيمة التي حررت العالم الإسلامي من الصليبيين تحريرًا كاملًا، ومن قبل ذلك انتصرت انتصارًا مهيبًا كما ذكرنا على دولة التتار العظمى.

١. دولة المماليك سيطرت على مناطق واسعة في وسط العالم الإسلامي

دولة المماليك من الدول القوية جدًا في تاريخ الأمة الإسلامية، سيطرت على مناطق واسعة في وسط العالم الإسلامي، يعني سيطرت على مصر، على الشام، على الحجاز، على أجزاء من اليمن في بعض فتراتهما، على أجزاء من تركيا، أجزاء من العراق.

٢. ظلت تحمل الراية الإسلامية قرابة ثلاثة قرون

كانت دولة ظلت تحمل الراية الإسلامية قرابة الثلاثة قرون بالظبط ٢٦٣ سنة، ده عمر دولة المماليك.

٣. حاربت العديد من القوى

في هذه الفترة رفعت راية الإسلام وحاربت عدة قوى؛ حاربت المسلمين، طبعًا قوة التتار وقوة الصليبيين، وبعد كده قوة البرتغاليين اللي هي بدأ نجمهم يظهر في العالم الغربي، وبعد سقوط الأندلس وتولت دولة المماليك الدفاع عن الأمة الإسلامية ضد هذه الدولة الجديدة -دولة البرتغال-.

٤. في كل تاريخ المماليك لم يظهر لليهود أي توجه ناحية التوطن في أرض فلسطين

بالعكس كانت القوة الغالبة للمسلمين، وكان في نوع من التسامح الكبير جدًا عند المسلمين، يسمحون لليهود بزيارة بيت المقدس، وبزيارة أرض فلسطين، بل إن في بعض المواقف النادرة جدًا في التاريخ الإنساني عندما كان يختلف اليهود أحيانًا مع المسلمين في بعض القضايا، وكان الأمر يُعرض على القضاء المملوكي الإسلامي، وكان يُحكم لليهود إذا كان الحق مع اليهود.

-ومن أشهر هذه الحكايات:-

ما حُكي أيام السلطان قايتباي أحد أشهر سلاطين المماليك عندما حكم بقطعة أرض كانت بين كنيس يهودي وبين مسجد إسلامي، حكم بهذه القطعة لليهود عندما ثبت له أن الأرض فعلاً ترجع أصولها لليهود.

اضطهاد نصارى أوروبا لليهود في هذه الفترة

ومع هذا التسامح الإسلامي لليهود وللنصارى في عهد الدولة المملوكية، تزامن هذا التسامح تمامًا مع اضطهاد شديد جدًا لليهود في أوروبا من النصارى الأوربيين، لدرجة أن في سنة ٩٦٠ من الهجرة ١٢٩٠ من الميلاد أصدر الملك إدوارد الأول -وده ملك إنجلترا- قرار بطرد كل الكفار من إنجلترا، مين الكفار في تعريفه؟ اليهود. كل اليهود في إنجلترا طردوا في عهد الملك إدوارد الأول.

بعدها بعدة سنوات قليلة في سنة ٧٠٦ من الهجرة بيوافق ١٣٠٦ ميلادية أصدر فليب الأول وده كان ملك فرنسا قرار بطرد كل اليهود من فرنسا إلا أن يتنصروا. يعني إكراه واضح على الدين.

- ظهور عنصر الصهاينة المسيحيين

وهذا دفع عدد كبير جداً من اليهود إلى التنصر والدخول في النصرانية ومن هنا بدأ تغلغل اليهود في الكنيسة النصرانية، وبدأ يظهر حاجة بنسبها عنصر الصهاينة المسيحيين دول أصلاً أصلهم يهود، ودخلوا في الديانة النصرانية في الأول بعد عن التعذيب والطرده، لكن بعد كده غيروا كثير جداً زي ما هنشوف في حركة التاريخ في أوروبا وبعدها كان لهم أثر على الدولة الإسلامية.

في كل التاريخ المملوكي، ومع كثرة الفتن والصراعات التي دار بها الحكم إلا أن في كل هذه الفترة ظلت فلسطين إمارة مملوكية، تقريباً سادها شيء كبير جداً من الهدوء لم يشوبها الصراع والأذى إلا في أواخر أيام المماليك زي ما هنشوف إن شاء الله في الحلقة، أو في الحلقات القادمة مع ظهور الدولة العثمانية.

ظهور الدولة العثمانية

يبقى دولة المماليك زي ما قلنا دولة حكمت تقريباً ٢٦٣ سنة، كل هذه الفترة فلسطين كانت داخلية تحت الحكم المملوكي لكن بعد فترة من ظهور المماليك بدأت تظهر في وقت متزامن مع دولة المماليك دولة أخرى إسلامية قوية جداً، لكن بعيدة عن دولة المماليك وهي الدولة العثمانية. الدولة العثمانية ظهرت في آسيا الصغرى، في قطعة صغيرة جداً في الشمال الغربي من آسيا الصغرى.

عثمان بن أرطغرول مؤسس الدولة العثمانية

والحقيقة بداية ظهور الدولة العثمانية من أوائل أيامها وهي جهادية من الدرجة الأولى، وعثمان بن أرطغرول الذي تنسب إليه الدولة العثمانية كان رجلاً حقيقة من أعظم المجاهدين في تاريخ الأمة الإسلامية مع أن المساحة اللي كان بيحكمها كانت صغيرة جداً، لكن الروح الإسلامية اللي عنده كانت روح عالية جداً جداً، وده ظهر على حياته وظهر على حياة أولاده وأحفاده، ولمدة أكثر من ٤٠٠ سنة متصلة منذ أن ظهر عثمان بن أرطغرول، إلى يعني نهاية عهد القوة في عهد الدولة العثمانية.

شعار: "إما غازي وإما شهيد"

عثمان بن أرطغرول حط له شعار واضح جداً في حياته من أول أيامه إلى آخر أيامه، هذا الشعار ظل شعار السلاطين العثمانيين طيلة حياتهم، وهو إما غازٍ وإما شهيد، إما غازٍ في سبيل الله، إما شهيد ما عنده احتمالية الفرار أو الهروب، أو الهزيمة، هذه ليست واردة في حساباته، "إما غازٍ وإما شهيد".

وكان يبسمي نفسه السلطان الغازي، وهكذا تسمى الزعماء للدولة العثمانية بعد ذلك بأنهم كان يسمون بالسلطان الغازي أو السلطان المجاهد. واتخذ له راية، وهذه الراية هي علم تركيا إلى الآن، وظل يحكم فترة طويلة في شمال زي ما قلنا شمال غرب آسيا الصغرى.

مراد الأول بن عثمان بن أرطغرول

ومن بعده جاءت شخصية مؤثره جداً وهو مراد الأول -ابنه- وهذا الرجل حكم ٣٠ سنة، وفي هذه الفترة استطاع أن يعبر آسيا الصغرى إلى أوروبا لأول مرة في تاريخ المسلمين. وبدأ يأخذ مدينة اسمها مدينة أدرنه في الجزء الأوروبي من تركيا الآن، وجعلها عاصمة الدولة العثمانية، وبدأ يلتف حول القسطنطينية دون أن يستطيع أن يدخل القسطنطينية لحصانتها، وفتح جنوب بلغاريا، وفتح جنوب يوغوسلافيا، وفتح صوفيا في بلغاريا، وفتح سلونيك في اليونان، وفتح كوسوفا، كل ده في عهد مراد الأول بن عثمان بن أرطغرول، طبعاً إنجازات يعني في غاية الأهمية.

دعاء مراد الأول في فتح كوسوفا

وأنا عايز أقولكم دعاء مراد الأول في فتح كوسوفا، الدعاء اللي قاله في ليلة الفتح، علشان نعرف قيمة الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي ونعرف قيمة عهد مراد الأول، ومن قبله عثمان بن أرطغرول، وغيرهم من القواد العظماء في تاريخ الدولة العثمانية،

كان يقول: "يا إلهي إني أقسم بعزتك وجلالك أني لا أبتغي من جهادي هذه الدنيا الفانية ولكني أبتغي رضاك ولا شيء غير رضاك، يا إلهي قد شرفتنني بأن هديتنني إلى طريق الجهاد في سبيلك فشرفني وزدني تشريقاً بالموت في سبيلك" في موقعة كوسوفا اليوم التالي مباشرة انتصر المسلمون انتصاراً كبيراً على الصرب، واستطاعوا أن يضموا كوسوفا إلى الدولة الإسلامية العثمانية.

استشهاد مراد الأول وتولي ابنه بايزيد الأول الحكم

واستشهد مراد الأول كما طلب -رحمه الله- في هذه الموقعة ومات شهيداً في سبيل الله. وتولى من بعده ابنه بايزيد الأول. لتدخل الدولة العثمانية في طور من أطوار القوة التي لم تسبق. وده اللي هنعرفه إن شاء الله في الحلقة الجاية.

الخاتمة

أسأل الله -عز وجل- أن يفقهنا في سننه وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>